

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي
الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْجُوهَا
وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧١) [البقرة: 71]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

هذه الآية فيها الجواب الشافي لسؤالاتهم المُتَعَنِّتَة؛ فإنهم "لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شددوا فشدد عليهم" (1)، فالتناسب بين الآيتين كالعلاقة بين السؤال والجواب، سألوا فأجابهم: بأن من صفتها كيت وكيت، فأذعنوا لما أمروا، وذبحوها على طول كرهٍ ومماطلةٍ.

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿ذُلُولٌ﴾: صيغة مبالغة زنة فَعُول، والجذر اللغوي (ذَلَّ)، و"الذُّلُّ مصدر الذُّلُولِ، أي: المُنْقَاد من الدَّوَابِّ، ذَلَّ يَذَلُّ، ودَابَّةٌ ذُلُولٌ: بَيِّنَةُ الذُّلِّ" (2)، وأصل معناه دلالته "على الخُضُوع، والاستكانة، واللين، فالذُّلُّ: ضِدُّ العِزِّ" (3)، و"الذُّلُّ: ما كان عن قهرٍ، يُقَال: ذَلَّ يَذَلُّ ذُلًّا، والذُّلُّ ما كان بعد تَصَعُّبٍ، وهي ذُلُولٌ، أي: ليست بصعبة" (4).
ومعنى الذُّلُول هنا: "أنها بقرة لم تذلل بالعمل في الحرثة والسقي" (5).

(2) ﴿ثِيرٌ﴾: من الجذر اللغوي (ثَرَا) "يُقَال: ثَارَ ثَائِرُهُ، وفَارَ فَائِرُهُ، إِذَا غَضِبَ... ويُقَال: ثَارَتْ نَفْسُهُ، إِذَا جَشَّتْ، أي: ارتفعت وجاشت، أي فارت... وأثار التُّرابَ إِثَارَةً، إِذَا بَحَثَهُ بِقَوَائِمِهِ" (6).

وأحد أصليه في المعنى انبعاثُ الشَّيْءِ من "قولهم: ثَارَ الشَّيْءُ يَثُورُ ثَوْرًا وَثُورًا وَثُورَانًا.

(1) القاسمي، محاسن التآويل: 2/154.

(2) الخليل، العين: (ذل).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذل).

(4) الزاغبي، المفردات: (ذل).

(5) المصباح، تفسير المصباح: 1/144.

(6) الأزهري، تهذيب اللغة: (ثور، ثير).

وَنَارَتْ الْحَصْبَةُ تُثَوِّرُ. وَثَاوَرَ فُلَانٌ فُلَانًا، إِذَا وَاتَّبَهُ، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نَارَ إِلَى صَاحِبِهِ. وَثَوَّرَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ شَرًّا، إِذَا أَظْهَرَهُ⁽¹⁾، وَ"نَارَ الْغُبَارِ وَالسَّحَابِ وَنَحْوَهُمَا: انْتَشَرَ سَاطِعًا، وَقَدْ أَثَرَتْهُ، يُقَالُ: أَثَرْتُ الْأَرْضَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَثَرُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾ [التَّوْم: 9]، وَنَارَتْ الْحَصْبَةُ ثَوْرًا تَشْبِيهًا بِانْتِشَارِ الْغُبَارِ⁽²⁾.

وَمَعْنَى (تُثِيرُ) فِي الْآيَةِ: بِتَقْلِيلِ الْأَرْضِ، فَيُخْرِجُ مَا بِيَاظِهَا إِلَى ظَاهِرِهَا، وَالْمَقْصُودُ حَرِثَ الْأَرْضَ بِالْمَحْرَاثِ⁽³⁾.

(3) ﴿الْأَرْضُ﴾: مِنَ الْجَذْرِ اللَّغَوِيِّ (أَرْضَ)، وَاحِدٌ أَصُولُهُ أَنَّهُ كُلُّ شَيْءٍ يَسْفُلُ وَيُقَابِلُ السَّمَاءَ، يُقَالُ لِأَعْلَى الْفَرَسِ سَمَاءً، وَلِقَوَائِمِهِ أَرْضٌ... وَالْأَرْضُ: الَّتِي نَحْنُ عَلَيْهَا، وَتُجْمَعُ أَرْضِينَ - بَفَتْحِ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا -، وَلَمْ تَجِئْ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَجْمُوعَةً⁽⁴⁾.

و"الْأَرْضُ: الْجِزْمُ الْمَقَابِلُ لِلسَّمَاءِ، وَيُعْبَرُ بِهَا عَنْ أَسْفَلِ الشَّيْءِ، كَمَا يُعْبَرُ بِالسَّمَاءِ عَنْ أَعْلَاهُ"⁽⁵⁾، وَالْأَرْضُ الْمَقْصُودَةُ هُنَا: الْأَرْضُ الْمَعْرُوفَةُ الَّتِي يَعِيشُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ فِي الْإِثَارَةِ: "قَلَبَ الْأَرْضَ لِلزَّرَاعَةِ، يُقَالُ: أَثَرْتُ الشَّيْءَ وَاسْتَثَرْتُهُ، إِذَا هَيَّجْتَهُ"⁽⁶⁾.

(4) ﴿وَلَا تَسْقَى﴾: مِنَ الْجَذْرِ اللَّغَوِيِّ (سَقَى)، وَالْأَصْلُ فِي مَعْنَاهُ "إِشْرَابُ الشَّيْءِ الْمَاءَ وَمَا أَشْبَهَهُ. تَقُولُ: سَقَيْتُهُ بِيَدِي أَسْقِيهِ سَقِيًّا، وَأَسْقَيْتُهُ، إِذَا جَعَلْتَ لَهُ سَقِيًّا. وَالسَّقْيُ: الْمَصْدَرُ، وَكَمْ سَقَيْ أَرْضِيكَ، أَي: حَظُّهَا مِنَ الشُّرْبِ"⁽⁷⁾.

و"السَّقْيُ وَالسَّقْيَا: أَنْ يُعْطِيَ مَا يَشْرَبُ، وَالْإِسْقَاءُ: أَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَتَنَاوَلَهُ كَيْفَ شَاءَ، فَالْإِسْقَاءُ أَبْلَغُ مِنَ السَّقْيِ؛ لِأَنَّ الْإِسْقَاءَ هُوَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُ مَا يُسْقَى مِنْهُ وَيَشْرَبُ"⁽⁸⁾.

وَيَدُورُ مَعْنَاهُ حَوْلَ "تَحْصِيلِ الْمَاءِ وَنَحْوِهِ مِنَ الْمَائِعِ فِي الْجَوْفِ بِإِنْفَاذِهِ إِلَيْهِ: كَمَا فِي شُرْبِ الْمَاءِ، وَسَقْيِ الثَّوْبِ. وَالسَّقْيُ أَدَاةٌ لَذَلِكَ، وَالسَّقَايَةُ تَسْقَى الزَّرْعَ"⁽⁹⁾.

(1) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَايِسُ اللَّغَةِ: (ثَوْر).

(2) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (ثَوْر).

(3) السَّمِينُ، عُذْمَةُ الْحَقَاطِ: (ثَوْر).

(4) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَايِسُ اللَّغَةِ: (أَرْض).

(5) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (أَرْض).

(6) الْوَاحِدِيُّ، التَّفْسِيرُ الْوَسِيطُ: 1/156.

(7) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَايِسُ اللَّغَةِ: (سَقَى).

(8) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (سَقَى).

(9) جَبَلُ، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْمُضَلِّ: (سَقَى).

ومعنى ﴿وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾ في الآية: "لا يُسْتَقَى عليها الماء لسقي الزرع"⁽¹⁾.

(5) ﴿الْحَرْثُ﴾: الجذر اللغوي له (حرث)، وهو "حرث الزرع، حرث يحرث حرثاً وحرثاً، وحرث الرجل لندياه أو آخرته؛ إذا عمل لها"⁽²⁾، والمعنى المحوري فيه: شقُّ السطح الملتئم، وإثارته بإخراج بعض ما استوى به ظاهره كُتلاً، كالأرض وأماكن الحوافر فيها⁽³⁾.

"ومن هذا الباب حرث الزرع. والمرأة حرث الزوج؛ فهذا تشبيه، وذلك أنه مُزْدَرَع ولده"⁽⁴⁾، وهو أيضاً "إلقاء البذر في الأرض، وتهيؤها للزرع، ويسمى المحروث حرثاً"⁽⁵⁾. ومعنى الحرث في الآية: ما تمّت حراثته وزراعته⁽⁶⁾.

(6) ﴿مُسَلِّمَةً﴾: جذره اللغوي (سلم)، و"معظم بابه من الصّحة والعافية... فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى"⁽⁷⁾، "والسلم: الصلح... والسلم: المُسالمُ. تقول: أنا سلمٌ لمن سامني، والسلام: السلامة. والبراءة من العيوب"⁽⁸⁾.

و"السلم والسلامة: التّعري من الآفات الظاهرة والباطنة، قال الله تعالى: ﴿يَقْلِبِ سَلِيمٌ﴾ [الشعراء: 89]، أي: مُتَعَرٍّ من الدّغل، فهذا في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسَلِّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا﴾، فهذا في الظاهر"⁽⁹⁾.

ومعنى (مسلمة) في الآية: "أي: هي سالمة من كل عيب، وقيل: من آثار العمل التي تعملها البقر كالحرث والنّضح"⁽¹⁰⁾.

(1) ابن الجوزي، زاد المسير: 1/77.

(2) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (حرث).

(3) جبل، للعجم الاشتقاقى للوُصل: (حرث).

(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حرث).

(5) الزّاغب، للفردات: (حرث).

(6) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 1/164.

(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سلم).

(8) الجوهري، الصّاح: (سلم).

(9) الزّاغب، للفردات: (سلم).

(10) التّسمين، عمدة الحفاظ: (سلم).

(7) ﴿لَا شَيْءَ﴾: اسم مشتق من الوشي، و"الشَّيْءُ: بَيَاضٌ فِي لَوْنِ السَّوَادِ، أَوْ سَوَادٌ فِي لَوْنِ الْبَيَاضِ"⁽¹⁾، وأحد أصليه "يَدُلُّ عَلَى تَحْسِينِ شَيْءٍ وَتَزْيِينِهِ... وَشَيْتُ النَّوْبِ أَشْيِهِ وَشَيْئًا. وَيَقُولُونَ لِلَّذِي يَكْذِبُ وَيَنْهَى وَيُزْخَرِفُ كَلَامَهُ: قَدْ وَشَى، وَهُوَ وَاشٍ"⁽²⁾.

ومنه "وَشَيْتُ الشَّيْءِ وَشَيْئًا: جَعَلْتُ فِيهِ أَثْرًا يُخَالِفُ مَعْظَمَ لَوْنِهِ، وَاسْتَعْمَلَ الْوَشْيُ فِي الْكَلَامِ تَشْبِيهًا بِالْمَنْسُوجِ، وَالشَّيْءُ فِعْلَةٌ مِنَ الْوَشْيِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُسْلَمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا﴾"⁽³⁾.
والمعنى في الآية: "أي: ليس فيها لونٌ آخرٌ غير الصُّفْرِ الْفَاقِعَةِ"⁽⁴⁾.

(8) ﴿جِئْتُ﴾: جاء من الجذر اللغوي (جيء)، والمعنى المحوري فيه "انحدار إلى حيز، أو تجوُّفٌ سُفْلِيٌّ مُهَيَّأٌ جَامِعٌ: كَالْمَاءِ فِي الْهَبْطَةِ - ومن هذا المعنى المجيء: الإتيان إذ هو حضور الجائي من حيث كان إلى مكان (حيز)؛ للقاء أو لأمر"⁽⁵⁾.
والمعنى في الآية: "كما تقولُ جاءَ بالأمرِ على وجهه"⁽⁶⁾.

(9) ﴿بِالْحَقِّ﴾: من الجذر اللغوي (حقق)، والأصل في معناه دلالته "على إحكام الشَّيْءِ وَصَحَّتْهُ. فَالْحَقُّ: نَقِيضُ الْبَاطِلِ، ثُمَّ يَرْجِعُ كُلُّ فَرْعٍ إِلَيْهِ بِجُودَةِ الْإِسْتِخْرَاجِ، وَحُسْنِ التَّلْفِيقِ، وَيُقَالُ حَقَّ الشَّيْءُ: وَجَبَ"⁽⁷⁾.

و"أصل الحقِّ: الْمُطَابَقَةُ وَالْمُوَافَقَةُ، كَمُطَابَقَةِ رَجُلٍ الْبَابِ فِي حَقِّهِ لِدَوْرَانِهِ عَلَى اسْتِقَامَةٍ"⁽⁸⁾ و"الحقُّ في الأصل: الثَّبُوت، وَالشَّيْءُ الثَّابِتُ، يُقَالُ: حَقَّ الْأَمْرُ يَحَقُّ حَقًّا، فَهُوَ حَقٌّ: أَي: ثَبِتَ وَاسْتَقَرَّ"⁽⁹⁾.

ومعنى ﴿بِالْحَقِّ﴾ في الآية أنَّهم: "أَرَادُوا بِالْحَقِّ الْأَمْرَ الثَّابِتَ الَّذِي لَا احْتِمَالَ فِيهِ"⁽¹⁰⁾.
(10) ﴿فَذَبَّحُوهَا﴾: من الجذر اللغوي (ذبح)، والأصل في معناه "يَدُلُّ عَلَى الشَّقِّ".

(1) الخليل، العين: (وشي).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وشي).

(3) الرَّاغِب، المفردات: (وشي).

(4) محمَّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/289.

(5) جبل، المعجم الاشتقاقي للؤُصَل: (جياً).

(6) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/555.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).

(8) الرَّاغِب، المفردات: (حق).

(9) السَّمين، عُمدَةُ الْحَقَاقِطِ: (حقق).

(10) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/555.

فَالذَّبَّيْحُ: مَصْدَرُ ذَبَحْتُ الشَّاةَ ذَبْحًا. وَالذَّبَّيْحُ: الْمَذْبُوحُ. وَالذَّبَّاحُ: شُقُوقٌ فِي أَصُولِ الْأَصَابِعِ. وَالْمَذَابِيْحُ: سَيُولُ صِغَارُ تَشُقُّ الْأَرْضَ شَقًّا⁽¹⁾، و"أصل الذَّبَّيْحُ: شَقٌّ خَلَقَ الْحَيَوَانَاتُ"⁽²⁾، وهو المعنى المقصود في الآية.

(11) ﴿وَمَا كَادُوا﴾: فَعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ الْمُقَارَبَةِ، الْجَذَرُ اللَّغَوِيُّ مِنْهُ (كُودُ)، و"كَادَ يَفْعَلُ كَذَا، يَكَادُ كُودًا وَمَكَادَةً، أَي: قَارَبَ وَلَمْ يَفْعَلْ... وَكَادَ وَضِعَتْ لِمُقَارَبَةِ الشَّيْءِ، فَعِلَ أَوْ لَمْ يُفْعَلْ، فَمَجْرَدُهُ يُنْبِئُ عَنْ نَفْيِ الْفَعْلِ، وَمَقْرُونُهُ بِالْجَحْدِ يُنْبِئُ عَنْ وَقُوعِ الْفَعْلِ"⁽³⁾ وَالْأَصْلُ فِي مَعْنَاهُ "كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى التَّمَاسِ شَيْءٍ بِيَعُضِ الْعَنَاءِ. يَقُولُونَ: كَادَ يَكُودُ... فَأَمَّا قَوْلُهُمْ فِي الْمُقَارَبَةِ: كَادَ، فَمَعْنَاهَا قَارَبَ"⁽⁴⁾، وَإِذَا اقْتَرَنْتَ (كَادَ) بِالنَّفْيِ كَالْآيَةِ مَوْضِعِ الشَّاهِدِ "فَإِنَّهَا تَقْيِدُ وَقُوعَ الْفَعْلِ بَعْدَ صُعُوبَةٍ أَوْ مُحَاوَلَاتٍ، وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْمُقَارَبَةِ"⁽⁵⁾. وَالْمَعْنَى فِي الْآيَةِ دَالٌّ عَلَى: "اسْتِثْقَالِ لَاسْتِقْصَائِهِمْ وَاسْتِبْطَاءِ لَهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَتَطْوِيلِهِمُ الْمَفْرُطَ، وَكَثْرَةِ اسْتِكْشَافِهِمْ، مَا كَادُوا يَذْبَحُونَهَا"⁽⁶⁾.

(12) ﴿يَفْعَلُونَ﴾: مِنَ الْجَذَرِ اللَّغَوِيِّ (فَعْلُ)، وَالْأَصْلُ فِي مَعْنَاهُ "يَدُلُّ عَلَى إِحْدَاثِ شَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ وَغَيْرِهِ، مِنْ ذَلِكَ: فَعَلْتُ كَذَا أَفَعَلُهُ فَعَلًّا. وَكَانَتْ مِنْ فُلَانٍ فَعَلَّةٌ حَسَنَةً أَوْ قَبِيحَةً"⁽⁷⁾.

و"الْفِعْلُ: التَّأْتِيرُ مِنْ جِهَةٍ مُؤَثِّرٍ، وَهُوَ عَامٌّ لِمَا كَانَ بِإِجَادَةٍ أَوْ غَيْرِ إِجَادَةٍ، وَلِمَا كَانَ بِعِلْمٍ، أَوْ غَيْرِ عِلْمٍ، وَقَصْدٍ أَوْ غَيْرِ قَصْدٍ، وَلِمَا كَانَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ وَالْجَمَادَاتِ"⁽⁸⁾، وَالْفِعْلُ هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى إِحْدَاثِ الشَّيْءِ⁽⁹⁾.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذبح).

(2) الزاغب، للفردات: (ذبح).

(3) الجوهري، الصحاح: (كود).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كود).

(5) جبل، للعجم الاشتقاق للؤصل: (كود).

(6) الزمخشري، الكشاف: 284-283/1.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فعل).

(8) الزاغب، للفردات: (فعل).

(9) السمين، عمدة الحفاظ: (فعل).

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

الآية جواب عن آخر أسئلتهم التي شددوا فيها على أنفسهم من حيث لا يدرون؛ فشدد الله عليهم؛ فأخبرهم عن صفة تلكم البقرة، وأنها لم يذللها العمل، ولم تبذل في الكسب من إثارة للأرض، وسقي الزرع، فكانت من البقر الوحشي، ثم زاد عليهم أن تكون سالمة من العيوب، وختمها بأن لا يخالط صفرتها أي لون آخر من بياض ونحوه.

ولما استوفى الله لبني إسرائيل جميع المُمَيِّزَاتِ والمُشَخِّصَاتِ لهذه البقرة، ولم يروا سبيلاً إلى سؤال آخر، فما قاربوا أن يذبحوها إلا بعد أن انتهت أسئلتهم، فاضطروا إلى ذبحها بعد طول المراوغة، وانقطع ما كان من تنطعهم وتعتيهم⁽¹⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

سر اختيار ذبح البقر دون سائر الحيوان:

جاء الأمر بذبح بقرة في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ من بين سائر الحيوان؛ "لأنها من جنس ما عبده من العجل؛ ليُهَوَّنَ عندهم ما كان يرونه من تعظيمه، وليعلم بإجابتهم ما كان في نفوسهم من عبادته"⁽²⁾.

بلاغة الوصف بـ ﴿ذَلُولٌ﴾:

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ جواب عن سؤالهم الثالث في صفة البقرة التي أمروا بذبحها، فذكر لهم الحق تبارك وتعالى أولى صفاتها بقوله: (لا ذلول)، وهو نفي أن تكون على هذه الصفة، و"ذلول صفة لبقرة بمعنى: بقرة غير ذلول، يعني: لم تذلل"⁽³⁾ للحراثة، وزنة (ذلول) (فعل)، وهي صيغة مبالغة منفية، ولهذا النفي غرض، وهو إفادة النفي من كل وجه، فنفي الكثير يحتم نفي القليل، ولا عكس، فجاء بالمبالغة ليدخل فيه ما دونه، وفي نفي ذلك عن البقرة تشديد عليهم لما شددوا على أنفسهم، والتشديد قرين المبالغة.

التعبير بالمبالغة
فيه تشديد
عليهم، جزاءً
لتشديدهم على
أنفسهم

(1) محمد رشيد رضا، تفسير النار: 1/289.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 1/372.

(3) الزمخشري، الكشاف: 1/282-283.

سرّ تعدّد الصفات المنفيّة في ختام الوصف:

يشتمل قوله تعالى: ﴿لَا ذُلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ على صفات متعدّدة للبقرة المأمور بذبحها من لدن ﴿ذُلُولٌ﴾ وقد ذُكرت سابقاً، وهنا تثير الأرض، أي: تقلّبها لأجل زراعتها⁽¹⁾، ثمّ ذكر الفعل ﴿تَسْقِي﴾ منفيّاً، ثمّ قوله ﴿مُسَلِّمَةً﴾، أي: لا عيبَ فيها، ثمّ نفى عنها ﴿شَيْءَ﴾، "والشَّيْءُ أصلُها وَشَيْءٌ... والمُرَادُ أنّ هذه البقرة خالصة الصُّفْرة ليس في جسمها لمعةٌ من لونٍ آخَرَ"⁽²⁾، فهذه الصفات جميعاً داخلة تحت حيز النّفي إمّا لفظاً، وإمّا معنّى، والمُتأمل في ذلك "يرى الصّعوبة والتّشدد في اختيار أوصافها... كأنّ الحقّ تبارك وتعالى يريد أن يجازيهم على أعمالهم"⁽³⁾؛ فالنّفي أصعب من الإيجاب في اختبار الصفات، وقد جاء النّفي في الصّفة الأخيرة على الغاية من التّشديد، فأراد منهم ألاّ يكون أيُّ لونٍ مخالطٍ لصفرتها وإن كان صغيراً، بدلالة لا النّافية للجنس التي تنفي القليل فضلاً عن الكثير.

بلاغة اختيار صفة ﴿ذُلُولٌ﴾ وتقديمها على الصّفتين الآخرين:

يشتمل قوله تعالى: ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ على أوصاف متعدّدة للبقرة التي أمروا بذبحها، وقد تقدّم وصفٌ على آخر في سياق النّفي، فتصدّر وصف ﴿ذُلُولٌ﴾ ثمّ ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾، وبعده ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾، ثمّ ﴿مُسَلِّمَةً﴾، وختمها بـ ﴿لَا شَيْءَ﴾، وفي هذا التّقديم والتّأخير سبب، هو أنّه قدّم ما قدّم من باب تقديم الأصل على الفرع، فلا ذلول "أي: غير مُذلّلة بالعمل في الحرّاة، ولا في السّقي"⁽⁴⁾؛ فكونها لا ذلول يجعلها لا تثير الأرض،

تكرار النّفي مع صفات البقرة فيه تصعيبٌ عليهم، جزاءً على أعمالهم

تقديم الأصل على الفرع، فمن ذلّ هان في بقيّة الصفات

(1) البغوي، معالم التّنزيل: 1/108.

(2) الشّوكاني، فتح القدیر: 1/116.

(3) الشّعراوي، تفسير الشّعراوي: 1/396.

(4) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/289.

ولا تسقي الحرث فكأنَّ الذَّلُولَ أَصْلٌ، وإثارة الحرث، وسقي الزَّرع
فرعان مُتَصِلان بالأوَّل، وفيها لمحةٌ إشاريَّةٌ وهي أَنَّ من ذلِّ هان،
والمقصودُ التَّلويحُ للمأمورين بذبح البقرة أن لا تكونَ أَكْرَمَ منهم.

التَّعْبِيرُ بِإِثَارَةِ الْحَرثِ وَسَقْيِ الزَّرْعِ بِالْفَعْلِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا بِالْأَسْمِيَّةِ:

ذَكَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يُرَى الْأَرْضُ لَا تَسْقَى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ فعلان، هما وصفان من أوصاف بقرة بني إسرائيل، وقد
ذَكَرَ هَذَانِ الْوَصْفَانِ بِالصِّيغَةِ الْفَعْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْحَدُوثِ وَالتَّجَدُّدِ
وعدم الاستقرار؛ فإِثَارَةُ الْأَرْضِ، وَسَقْيُ الْحَرثِ مِنَ الْأَفْظَانِ
الْمُقْتَرَنَةِ بِالْحَدُوثِ وَالتَّجَدُّدِ، "وَإِثَارَةُ الْأَرْضِ حَرْثُهَا وَقَلْبُ دَاخِلِ
تُرَابِهَا ظَاهِرًا وَظَاهِرُهُ بَاطِنًا، أُطْلِقَ عَلَى الْحَرثِ فِعْلُ الْإِثَارَةِ تَشْبِيهًا
لِلانْقِلَابِ أَجْزَاءِ الْأَرْضِ بِثَوْرَةِ الشَّيْءِ مِنْ مَكَانِهِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ"⁽¹⁾،
وَيَشْبِهُهُ فِي تَجَدُّدِهِ السَّقْيُ؛ فَنَجِدُ أَنَّ أَكْثَرَ الْآيَاتِ جَاءَتْ بِالْفَعْلِيَّةِ،
وَهُنَاكَ آيَاتٌ قَلِيلَةٌ جَاءَتْ بِالْأَسْمِيَّةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ السَّقْيَ وَالسَّقَايَةَ
أَمْرٌ فَعْلِيٌّ يَتَجَدَّدُ وَيَنْقَطِعُ، وَفِيهِ حَرَكَةٌ وَعَدَمُ ثَبَاتٍ، أَي: أَنَّ الصِّفَةَ
الْغَالِبَةَ عَلَيْهِ هِيَ الْحَرَكَةُ وَالتَّجَدُّدُ، وَآيَةٌ ذَلِكَ أَنَّ أَغْلَبَ الْأَفْظَانِ
الْمُشْتَقَّةِ مِنْ (سَقَى) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَارِدَةٌ بِالصِّيغَةِ الْفَعْلِيَّةِ، أَمَّا
الصِّفَتَانِ الْآخِرَتَانِ؛ وَهُمَا سَلَامَتُهَا مِنَ الْعُيُوبِ ﴿مُسَلَّمَةً﴾، وَوُجُودُ
لَوْنٍ آخَرَ مَعَ صِفَتِهَا ﴿لَا شَيْءَ﴾، فَلَا يَتَخَيَّلُ فِيهِمَا الْحَدُوثُ؛ لِأَنَّهُمَا
أَمْرَانِ مُتَعَلِّقَانِ بِالْخَلْقَةِ.

دَلَالَةُ اسْمِ الْفِعُولِ ﴿مُسَلَّمَةً﴾:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُسَلَّمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ وَرَدَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ
(مُسَلَّمَةً)، وَهِيَ بِمَعْنَى الْخُلُوفِ مِنَ الْعُيُوبِ، "فَهِيَ اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ
(سَلَّمْتُ) الْمَبْنِيَّ لِلْمَفْعُولِ، وَكَثِيرًا مَا تُذَكَّرُ الصِّفَاتُ الَّتِي تُعْرَضُ
فِي أَصْلِ الْخَلْقَةِ بِصِيغَةِ الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ فِي الْفِعْلِ وَالْوَصْفِ؛ إِذْ لَا

الحركة والتجدد
هما الصفة
الغالبة على هذه
الأفعال

دلالة (مسلمة)
على أصل
الخلق

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/555.

يخطر على بال المُتَكَلِّمِ تَعْيِينُ فاعِلِ ذلك“⁽¹⁾، وهكذا تأتي الأوصاف الدالة على الخلقة غالباً على هذه الصيغة.

معنى (الحق) في قوله: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجِئْ بِالْحَقِّ﴾:

المقصودُ بالحق في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَمْ نَجِئْ بِالْحَقِّ﴾ البيان، أي: الآن بيّنت لنا، فبعد أن بيّن لهم صفات البقرة أجابوا وأذعنوا، وقالوا: الآن جيئ بالحق، أي: ”بيّنت لنا غاية البيان، وجيئ بالحق الذي طلبناه، لا أنّه كان يجيء قبل ذلك بغير حق“⁽²⁾ فلو كان مقصدهم معنى الحق في كلام العرب لأدخلهم ذلك في زمرة الكافرين، فالمراد ”الآن ظهرت حقيقة ما أمرنا به؛ حتّى تميّزت من غيرها فلا يكون كُفْراً“⁽³⁾.

بلغة الإيجاز بالحذف في قوله: ﴿فَذَبْحُوهَا﴾:

في قوله تعالى: ﴿فَذَبْحُوهَا﴾ إيجازٌ بالحذف؛ لأنّهم بعد أن علموا من أوصافها ما علموا، طلبوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف، وبحثوا عنها، ثمّ اهتمدوا إليها بنعوتها، فلمّا وصلوا إليها ذبحوها⁽⁴⁾؛ لأنّ معرفة أوصافها مقدّمة للبحث عنها، والعثور عليها، ثمّ ذبحها، فالفاء فصيحة على رأي من لا يشترط أن تكون الجملة المحذوفة شرطاً.

بلغة التعريض في قوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾:

فعلٌ كادَ في قوله تعالى: ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ يُفيد المقاربة، والمعنى: ”وما قاربوا ذبحها قبل ذلك، أي: وقع الذّبح بعد أن نفى مُقارَبته، فالمعنى: أنّهم تَعَسَّروا في ذبحها، ثمّ ذَبَحُوهَا بعد ذلك“⁽⁵⁾، ولمّا كان أمرهم كذلك فصي التعبير بـ(كاد) تعريض بهم؛

المراد بالحق
البيان لا الذي
يقابل الباطل

ترك ذكر
التفاصيل
مقصوده
توجيه الاهتمام
بمقصود القصة

تنزيلهم
منزلة من لم
يفعل؛ لأنهم
ذبحوها كارهين
مما ظنّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/555.

(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/165.

(3) الرازي، التفسير الكبير: 3/130.

(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 1/87.

(5) أبو حيّان، البحر للحيط: 1/416.

لأنَّهم "ذَبَحُوهَا فِي حَالٍ تَقَرُّبٍ مِنْ حَالٍ مَنْ لَا يَفْعَلُ، والمعنى: أَنَّهُمْ ذَبَحُوهَا مُكْرَهِينَ، أَوْ كَالْمُكْرَهِينَ لَمَّا أَظْهَرُوا مِنْ الْمُطَاعَلَةِ"⁽¹⁾، فنفي مقاربة فعلهم حصل قبل الذَّبْح؛ لكثرة مماطلتهم، وتكرار سؤالاتهم، أي: ما كادوا يفعلون ذلك في مضي زمانهم.

❁ الْفُرُقُ الْمُعْجَمِيَّةُ:

المجيء والإتيان:

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَلَنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ ورد المجيء، ولم يرد الإتيان، مع أنَّهما متقاربان؛ ولذلك وردا في سياق واحد، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾⁽²⁾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الحجر: 63-64].

المجيء انحذار
إلى حَيِّز، وهو
أَعَمُّ؛ لَأَنَّ الإتيان
مجيء بسهولة

غير أَنَّ الْأَنْسَبَ لِلْسِّيَاقِ هُنَا هُوَ الْمَجِيءُ؛ حَيْثُ إِنَّهُ يُدُلُّ عَلَى "انحذار إلى حَيِّز - أَوْ تَجَوُّفٍ - سَفْلِيٍّ مُهَيَّأً جَامِعاً"⁽²⁾، ومجيئه بصفات البقرة واضحة جليَّة وضَعَهُمْ فِي هَيْئَةِ الْمُضْطَرِّ إِلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ كَأَنَّهُ دَفَعَهُمْ إِلَيْهِ دَفْعًا، كَمَنْ يَنْحَدِرُ إِلَى حَيِّزٍ. وَجَاءَ يَجِيءُ وَمَجِيئًا، وَالْمَجِيءُ كَالِإِتْيَانِ، لَكِنَّ الْمَجِيءَ أَعَمُّ؛ لِأَنَّ الإِتْيَانَ مَجِيءٌ بِسَهُولَةٍ. وَيُقَالُ: جَاءَ فِي الْأَعْيَانِ وَالْمَعَانِي، وَلَمَّا يَكُونُ مَجِيئُهُ بِذَاتِهِ وَبِأَمْرِهِ، وَالِإِتْيَانُ قَدْ يُقَالُ بِاعْتِبَارِ الْقَصْدِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ الْحُصُولُ، وَالْمَجِيءُ يُقَالُ اعْتِبَارًا بِالْحُصُولِ⁽³⁾.

الحقَّ والصدق:

الحقُّ هنا، أي: في أمر البقر، فعرَفْنَا أَيُّهَا الْوَاجِبُ عَلَيْنَا ذَبْحَهَا مِنْهَا، وَ﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ الَّذِي طَلَبْنَاهُ، لَا أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ يَجِيءُ قَبْلَ ذَلِكَ بِغَيْرِ حَقٍّ⁽⁴⁾، وَيَبِينُ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ وَشَائِعٌ وَعَلَائِقُ، إِلَّا أَنَّ الْحَقَّ أَعَمُّ؛ لِأَنَّهُ وَقُوعُ الشَّيْءِ فِي مَوْقِعِهِ الَّذِي هُوَ أَوْلَى بِهِ. وَالصِّدْقُ: الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ بِهِ، وَالْحَقُّ يَكُونُ إِخْبَارًا وَغَيْرَ إِخْبَارٍ⁽⁵⁾؛ لِذَا لَا يَحْسُنُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَّا كَلِمَةُ الْحَقِّ؛ فَهِيَ الْمُنَاسِبَةُ لَفْظًا وَمَعْنَى؛ لِمَا لِلْحَقِّ مِنْ سَعَةٍ وَعُمُومٍ، قُبَالَةِ التَّقْيِيدِ الْمُنبِئِ عَنِ الصِّدْقِ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/557.

(2) جبل، المعجم الاشتقاقي للوُضُل: (جبا).

(3) الزَّاعِب، المفردات: (جاء).

(4) ابن جرير، جامع البيان: 2/217، وابن عطية، المحرر الوجيز: 1/165.

(5) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 48.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، للجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،

قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغاني].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 1، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-52-1

يشتمل على إرجاعات ببلوغرافية.

مج. 1: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغاني، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-52-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»